



الفهرس

- 1.....أجمل البنات -
- 3.....الجسدُ -
- 4.....الجِسْرُ -
- 6.....الرَّورِقُ أكبرُ من البحر -
- 13.....الشَّهْرُ التاسع -
- 19.....الصِّفَاءُ -
- 20.....الطِّين -
- 22.....الغار -
- 25.....المَقهى -
- 26.....الْتَمَلُ -
- 27.....دُو الْجَنَاحَيْن -
- 29.....خُيول الإفرنج -
- 36.....التفاحة -

لا تَقْلُ كَمَا قِيلَ
وَإِطْلَعْ مَكَانَ الشَّمْسِ

* صالح القرمادي

- أجمل البنات

أجملُ البناتِ
الآن تنظرُ في ساعةِ الحائطِ
السَّاعةُ دَقَّتْ سابعةَ المساءِ
هياتُ نفسها لِصَمَّةِ الوالدِ
في هذا الشِّتاءِ الباردِ
قَفَزَتْ إلى الكرسيِّ تُقَرِّبُهُ
تَرْنُو مِنَ النَّافِذَةِ

أجملُ البناتِ
تُطلُّ على أبيضِ الثلجِ
مِنْ سَوادِ الليلِ
السَّاعةُ الثامنةُ دَقَّتْ
دَقَّ القلبِ مَرَّتَيْنِ
مَرَّةً للوالدِ
مَرَّةً للعائِدِ
هُوَ الآنَ بالمحطةِ يصعدُ القطارِ
وسَطَ الزَّحامِ
لا بأسٌ... إنْ تكسَّرتِ الشُّكْلاطَةُ في جيبِهِ
لا بأسٌ...
حَتَّى لَئِنْ سُرِقَتْ حافظةُ نُقودِهِ
مَرَّةً
ومَرَّةً
ودخلَ عائداً آخِرَ الشُّهرِ

بيدِ فارغةٍ
والأخرى
بِلا سُكْلاطَةٍ فيها ولا خَلوى

هناك... الآن
حِذاءٌ يَقَعُ على الجليدِ بِبُطءٍ
هناك... في المُنْعَطَفِ رَجُلٌ
قد ضربه الزَّمْهَرِيُّ
لفَّ ياقته جيِّداً
ودسَّ رأسَهُ بين كتفيه أكثرَ

وَقَتَّذِ
دمعةُ البنتِ سالتِ على الرُّجَّاجِ
فَصارتِ
سَبعةَ أنهارِ
تتبعُ مِنْ قلبِ العالمِ

- الجسدُ

أيها الجسدُ الخيلُ والليلُ
أيها الجسدُ النهارُ والنوَّارُ
أيها الجسدُ البُرْكانُ والطوفانُ

أَيُّهَا الْجَسَدُ الرِّيحُ وَاللَّقَاخُ
أَيُّهَا الْجَسَدُ الثَّمَارُ وَالْأَزْهَارُ
أَيُّهَا الْجَسَدُ الْفُصُولُ وَالْوُصُولُ
أَيُّهَا الْجَسَدُ التُّرَابُ وَالْخِرَابُ
أَيُّهَا الْجَسَدُ الشَّهْوَةُ وَالرَّغْوَةُ
أَيُّهَا الْجَسَدُ الْجَسَدُ الْجَسَدُ
إِشْتِغَلُ وَإِنْطِفَاءُ
كَلْهَيْبِ الْمِدْفَعَةِ
كِرْمَادِ الْمِنْفِضَةِ
فَأَنْتَ اللَّيْلَةُ
رَجُلٌ
بُدُونُ
إِمْرَأَةٌ !

- الْجِسْرُ -

تَقَاطَعًا عِنْدَ الْجِسْرِ
قَادِمٌ مِنَ اللَّيْلِ
ذَاهِبَةٌ إِلَى الْفَجْرِ
غَامِضٌ كَالسَّحْرِ
صَافِيَةٌ كَالتَّبْرِ

وقفًا على الجسر
مرّت سيارةٌ فوق الجسر
أحسًا بلفح الهواءِ
مرّ زورقٌ تحت الجسر
أبصرًا موجَ الماءِ

صمّيتا في الجسر
حطّتا كالحمامةِ
طار كالنسر

تباعداً عن الجسر
هُوَ : نحو النبع
إلى النهر
هيّ :: صوب المصبّ
إلى البحر !

وافترقا من الجسر
حيثُ لا يدري
حيثُ لا تدري
غير أنّهما تركا ظلّيهما يدًا في يدٍ
تجريان
مع النهر !

- الزُّورِقُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَحْرِ

إِخْلَعِي مِعْطَفَكَ قَبْلَ الْجُلُوسِ
زَائِرَتِي
أَمْ أَنْتِ عَلَيَّ عَجَلٌ
بَيْتِي : مَخْبَأً لِلشُّمُوسِ
لِمِثْلِ دَكْنَةِ الشِّتَاءِ الْيَوْمَ فِي الطَّرِيقِ
وَلِيَكُنْ حَدِيثُنَا ذَا شُجُونِ
فِي الصَّوْتِ شَجَرٌ
شَجَرٌ فِي الْمَطَرِ
مَطَرٌ عَلَى الشَّجَرِ
شَجَرٌ فِي الْمُدُنِ
مُدُنٌ فِي الْوَطَنِ
وَطَنٌ فِي الْعَقَنِ

إِذْنٌ :
لَكَ الْآنَ
أَنْ تَرَحَّلِي
لَا تَنْسِي مِعْطَفَكَ
مُعَلَّقًا فِي الْمِشْجَبِ
كَالسُّحْبِ فِي الْأَفُقِ
أَغْلِقِي الْبَابَ جَيِّدًا

بعد أن تنسجبي :
لست مَوْجُودًا !

الأزهارُ مَجْرُوحَةٌ... تَتِنُّهُ
الأعشابُ مُداسَةٌ... يابسة
بلا نسيم هي الحديقة
بلا أطفال فيها يَصْخَبُونَ
بلا عُشاق في المَقَاعِدِ يتلامسون
ويتوارون في مَمَرَاتِهَا الخلفية
الأغصانُ قُضبانُ
الأوراقُ حديدُ
إخْصِفْ عَلَيْكَ مِنْكَ
وَرَقَ الأَحْزَانِ
وإنزلُ هُنَا ...
قد يُرِيحُ كُرْسِيَّ الخشبِ هيكَلِ البِلُّورِ
ويعرِّشُ أضلاعَ الرِّجَالِ
تساقطُ عليه أجْرَدَ من ثيابك
وأنضدُ أزرارك على الطاولة
حَمَلِقُ من وراءِ الحَدَقَتَيْنِ :
هَلْ أَحَدٌ يُشْبِهُ أَحَدًا ؟
هل أنت تُشْبِهُ ظِلَّكَ ؟
لا حتَّى وجهَكَ
والبصماتِ ؟

إِسْتَرَحْ سَيِّدِي ... نُجُومُكَ إِنكَدَرْتُ
لِمَاذَا جَيْبُكَ أَخَادِيدُ ؟
لِمَاذَا عَيْنَاكَ غَائِرَتَانِ ؟
هَكَذَا

بِدُونِ بَرِيقِ
لَا دَمْعُ ... لَا هُدْبُ
شَفَتَاكَ مُقَلَّتَانِ ...
لَا صَوْتُ ... لَا صَدَى
كَأَلِهَةٍ قَدِيمَةٍ !
فَصِقْ بِالْمَسَاءِ وَالصُّبْحِ
مَا كَانَ صِبَاخَكَ بِالْخَيْرِ
مَا كَانَ مَسَاؤُكَ خَيْرًا
لَا أَهْلُ ... لَا سَهْلُ ... لَا سَلَامُ
أَبْدَلْ عَادَاتِ الْكَلَامِ :
التَّحِيَّةَ فِي الرِّدَاءِ
عَادَةَ سَيِّئَةٍ !

كُلُّ الْجِهَاتِ صَدِيئَةٌ
فِيَا طَارِقَ الْأَبْوَابِ ... دُونِكَ الْأَبْوَابُ مُوَصَّدَةٌ
مِنْ أَيْنَ تَدْخُلُ تُونَسَ سَيِّدِي ؟
بَابُ الْخَضْرَاءِ
قَوْسُ نَصْرٍ لِلْأَغْنِيَاءِ
وِطَابُورٌ لِلْفُقَرَاءِ
بَابُ الْبَحْرِ

لا بحرَ فيه ولا مَوْجَ
بابُ الجزيرةِ
مراكبُهُ لَدَى الإفرنجِ أسِيرُهُ
بابُ الجديدِ
مَساميرُهُ صَدِيدُ
بابُ المنارةِ
قنديلهُ عليه سِتارُهُ
بابُ القَصَبِ
بأعوا قُفْلُهُ
أحرقوا خَشْبَهُ
بابُ البناتِ
عاشقُ
في المَوْعدِ .. ماتِ
بابُ سَعْدونِ
يَفْتَحُ على السُّجُونِ !

مِنْ أينَ تَدْخُلُ تُونسَ سيِّدي
جامعُ الزَّيتونَةِ
حَمائمُهُ ... مَعَ المُوَدِّنِ ... صاحُ
قَدُبِحَ على الفِلاحِ
والقَيروانِ
زَرابيها التَّمارقِ
في الفنادقِ
هَدايا للسُّياحِ !

يا تُونسَ الأُنسِ نامي على الأُحزانِ

أُسدِلُ سيدي ...

حجابًا

على كلِّ باب

وأنقشُ بالخطِّ المَغرَبيِّ

حُرُوفَ الأَبجديِّ :

عربيُّ ... عربيُّ ... عربيُّ

هو المفتاحُ !

ربِّمَا ...

ربِّمَا تَفْقِدُ حُرُوفَكَ وَصَوْتَكَ تَمَامًا

ربِّمَا تَنسَى سُمَرَتَكَ وَبَسْمَتَكَ دَافِقَةً

فِي حَضْرَةٍ مَن تَهْوَى

قَدْ لَا تُصِيبُكَ رَعِشَةٌ

وَتَعْجِزُ حَتَّى عَنِ رَدِّ التَّحِيَّةِ

بِمِثْلِهَا ...

بَارِدٌ ... بَارِدٌ ... بَارِدٌ

دَمٌ ... تَخْتَرُ فِي العُرُوقِ

فَتَدْتَرُ بِلِحَافِ الصَّقِيعِ

وَدَوِّبَ قِطْعَةَ السُّكَّرِ

فِي الأَسْوَدِ

وَتَرَشَّفُ فَنجَانِكَ عَلَى مَهَلٍ

وَإِبْرِ رُمَحَكَ !

طوبى...
طوبى لليد التي ما تَلَطَّحَتْ
إِلَّا بِالْجِبْرِ
وما عَلِقَتْ إِلَّا بِدُؤَابَةٍ شَعْرٍ
وما إِمْتَدَّتْ إِلَّا
لِتَلْقَى الْأَجِبَّةَ بِالسَّلَامِ !
طوبى سيدي للصدر الرَّحْبِ
حوى ما حوى
حوى واحةً
وزوجي حَمَامٍ
في الفِضَاءِ ... خَلَّقَا... خَلَّقَا
فأَبْسَطَ رَاحَتَكَ الْمُبَارَكَةَ
على السَّبَاخِ وَالْبَرَارِي
جَبْرًا وَخَرْتًا ... وَبَدْرًا
ثمَّ إِسْقِيهَا مِنْ مُقْلَتَيْكَ
بازغَةُ نَوَّارَةُ الْمَلْحِ
مِنْ كُلِّ جُرْحٍ

إِذِنْ
خُذْ نَفْسًا سَيِّدِي ... وَتَرَاوِحُ
وَأَصْمُتْ هُنَيْهَةً... هُنَا .. يَا فَتَى
صَامِتٌ... شَامِحٌ
مُتَقَلِّدٌ بِالرُّؤْيِ
نَخْلُ أَنْتِ

وعراجينك رَطْبُهُ خضراءُ
ألا سَرَّحْ عَيْنِكَ لَتَرَى
قَمَرًا... لا سَمَاءَ
شَجَرًا... لا مَدَى
سَمَكًا ولا ماءَ
مَطَرًا كالْبُكَاءِ
بَشَرًا يفتَرَسُ بَشَرًا
في نَهَمٍ !
أَمَّا كَالْغَنَمِ
لَحْمًا على وَصَمِ
دَمٌ / أَلْمٌ / دَمٌ / أَلْمٌ
أشلاء... في الخلاءِ

تَرى ما تَرى؟
تَرى قافلةً تَلَوُ قافلةً
في طَرِيقِ قاحلةٍ
لا ظِلٌّ / لا حَبْلٌ / لا ماءٌ
تَصِلُ / لا تَصِلُ !
سِرٌّ... لا تَخَفُ
ما أَحَدٌ رَبَّتْ على الكَتِفِ
ما أَحَدٌ يَأْخُذُ باليَدِ
سَيِّدِي !
طَرِيقٌ يَدُونِ رَفِيقٍ !

تُرى ما ترى ؟
تري طيرًا بجناح واحدٍ
يُحلقُ في السَّحابِ
تَعَبُ على أرقٍ على سَفَرِ
يَقَعُ... لا يَقَعُ
رُبَّما... رُبَّما... رُبَّما !

- الشَّهْرُ التَّاسِعُ

أَيْتُهَا الزَّوْجَةُ فِي شَهْرِهَا التَّاسِعِ
مَضَتْ شُهُورَ الْوَحْمِ
مَضَتْ أَشْهُرَ الْأَلْمِ
فَمَنْ يَكُونُ فِي الرَّحْمِ ؟
ذَكَرٌ : مَشْحُونٌ رَجُولَةً
أُمٌّ
أَنْثَى : مَلِيئَةٌ خُصُوبَةً ؟
بَأَيِّ صَيْغَةٍ أَخاطِبُهُ ؟
بِالْمُذَكَّرِ !
بِالْمُؤنَّثِ ؟
وَهَلْ تَرَاهُ يَسْمَعُنِي

وهل تَسْمَعُهَا تراني ؟
أه ... يا لغتي الفُصْحَى
حروفي على لساني
مُرْجَرَجَةٌ وَجَرَحِي

الآن ...

لا تَهْمُ صِيغَةُ الْقَصِيدَةِ
فَاللُّغَةُ كَالْمَرَأَةِ .. كَالْعَالَمِ
مُهَيَّئَةٌ إِلَى وِلَادَةِ جَدِيدَةٍ

الآن

أَيْتُهَا الزَّوْجَةُ السَّعِيدَةُ
تُطَلُّ بِطَنِكَ عَلَى الدُّنْيَا
كَمَا تُطَلُّ تُونِسُ عَلَى الْمَتَوَسِّطِ
أَيْتُهَا الْمَرَأَةُ فِي الْهَلَالِ التَّاسِعِ
لَا تُخْفِي الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ

بِوَأَسْعِ الْمَلَابِسِ
لَقَدْ أَزَعَجَهَا اللَّيْلُ
بِالظَّلَامِ الدَّامِسِ

الآن

تَسْتَرِيحُ الْخَيْلُ
كُنْتُ كَالْمُهْرَةِ
كُنْتُ كَالْفَارِسِ
تَهَادِي الْآنَ فِي مِشِيَّتِكَ
مَشِيَّاتِ الْحَمَامِ

آسَفُ ... آسَفُ
إِنْ كَانَ مِنَ الْآلَامِ !

أَيُّهَا الْجَنِينُ تَعَجَّلْ
لَا تَتَمَهَّلْ
لَعَلَّكَ تَفْتَحُ الْأَبْوَابَ
لَعَلَّكَ تَزْرَعُ الْخَرَابَ
أَيُّهَا الْقَادِمُ مِنْ بَعِيدِ
الدُّنْيَا عِنْدَنَا بِلا جَدِيدِ
الطَّقْسِ ضِبَابُ وَسَحَابِ
الشُّمْسِ ل... فِي سَمَاءِ
الْخَبْرِ بِالْدَمَاءِ
فِاسْتَعْدُ لِلْبُكَاءِ
بِرَغْمِ الزُّغْرَدَةِ !

أَيُّهَا اللُّغَةُ الْجَمِيلَةُ
الْهَمِينِي وَسِيلَةً
لِأَخَاطِبِ مَنْ فِي الشَّهْرِ التَّاسِعِ
كَيْفَ اخْتَارَ لَهُ أَجْمَلَ الْأَسْمَاءِ
هَلْ اسْمِيهِ مُحَمَّدًا
فِيكَونُ كَالْأَنْبِيَاءِ
لَا

فَالْعَصْرُ لِلْعُلَمَاءِ
هَلْ اسْمِيهَا هِنْدًا
مَا أَنْجَزَتْ - وَعَدًّا -

إِنَّهَا كَكَلِ الْأَوْفِيَاءِ
إِذْ
أَسْمَى طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ
أَوْ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ
أَوْ شَهْرزَادًا

الْأَنْدَلُسُ ضَاعَتْ
ضَاعَتْ الْقُدْسُ
وَمَا زَلْنَا نَحْلَمُ بِالْفَاتِحِينَ
فَالتَّارِيخُ نَفْسَهُ لَا يُعِيدُ
إِذْ
سَابَحْتُ عَنْ إِسْمِ جَدِيدِ

أَيُّهَا الْجَنِينَةُ فِي حُلْمِهَا التَّاسِعِ
الآن ... قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ
يُمْكِنُكَ أَنْ تَضَعِي اللَّمَسَاتِ الْأَخِيرَةَ
لِعَيْنَيْكَ - لَشَعْرِكَ - لَشَفْتَيْكَ ...
يُمْكِنُكَ إِنْ شِئْتَ
إِعَادَةَ التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ
أَيُّهَا الْجَمِيلَةُ ؟

هَلِ قَلْتِ لِلْمَدِينَةِ : صِيَاخُ الْخَيْرِ
كَمْ سَتَتَعَبُكَ التَّحِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ
كَمْ سَتَثْقَلُكَ الْمَلَابِسُ كُلَّ يَوْمٍ
كَمْ سَيُعْطَلُكَ الْمَآكِيَاخُ كُلَّ يَوْمٍ

كلّ يوم...
قناعٌ... وسباعٌ... وصياغٌ
في غابةِ الحياة
وأخرها حُفرةٌ وكفنٌ
للمّاتِ
هو الزّمنُ
هو الزّمنُ

يا أيّها الجنينُ في الخلقِ التاسعِ
الآن
تختارُ مع أمّك ملابسك الأولى
بالطريزةِ والأزهارِ
بيضاءَ ... بيضاءَ
كشجرةِ اللوزِ في البراري ...
غداً ... صباحاً ... على السادسةِ
إنهضْ واغسِلْ وجهك
ثمّ افتحْ عينيكِ مَلِيّاً
هل ستري ما رأينا
كوّناً جميلاً
وقيوذاً في يدينا
إنه زمنُ الرّداءةِ والبؤسِ
فأرفعْ رأسكِ عالياً
عندَ
سقوطِ الرأسِ

أهلا بك في هذا الكون الشاسع
سهلا بك في هذا الدهر الضائع
لك عندي ما أقولُ
وحدِيثي يطولُ
فنحنُ الكبار
نُحسِنُ سِرَدَ النصائح للصفار
تدّعي تجربتها في الأعمار
ونحنُ أصفأُ على أصفار
فمنذُ عَصِر الحِجْرِيَّة
لم تُوقرِ الإنسانيَّة
إلا قُبلةً ذرِيَّةً
للدمار
وما حققتُ شبرًا واحدًا
من الحُبِّ والحُرِّيَّة
للصفار !

بعدَ الشهر التاسع
يا مَنْ في المضارع
يأتي زمانٌ ... يمضي زمانٌ
ولم أخبر أحدًا
عن وَحْمِي
فلم يعلم أحدٌ
بالمي
أه... يا ولدي .. لو تدري وجعي
هو الجنينُ الآن

يَتَحَرَّكُ بَيْنَ أَضْلَعِي
فَهَلْ أَلْدُ؟!

- الصَّفَائِرُ -

مَرَّةً
جِئْتِنِي مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ
يَذْرِي عَلَيَّ الْخِصْرُ
كُنْتُ
أَحْسَسْتُ
بِالْوَرَقِ
يَرْفُ
فِي الشَّجَرِ

مَرَّةً
جِئْتِنِي مَضْفُورَةَ الشَّعْرِ
حَبْلَانِ مِنْ مَسَدٍ عَلَيَّ الصَّدْرِ
حَبْلٌ لِلْوَتْقِ
حَبْلٌ لِلشَّنَقِ

مَقْصُوصَةَ الشَّعْرِ
جِئْتُكَ مَرَّةً

تَبَّتْ يَدَا مَنْ قَصَّ
فَالَّذِي أَحَسَّ
كَانَ
بَيْنَ السِّيَافِ
وَالْمِشْنَقَةِ...

- الطَّيْنِ

الوَلَدُ الَّذِي لَعِبَ بِالطَّيْنِ
جَعَلَ مِنْهَا بُيُوتًا
خِيولًا
وَأَبْلًا

الوَلَدُ الَّذِي جَلَسَ فِي الشَّمْسِ
نَامَ فِي الْمَغَارَاتِ
لُدِغَ بِالْعَقْرِبِ مَرَّاتٍ
عَدَّ نُجُومَ السَّمَاوَاتِ

وَلَدٌ لَمْ يَكْبُرْ
بِرْغَمِ الشَّرَابِ الْغَلِيظِ
بِرْغَمِ خَاتَمِ الْبِنَصْرِ
بِرْغَمِ الشُّبَيْبَةِ الْأُولَى!

الولدُ الذي ظلَّ ولدًا
ما زال يجلسُ في الصَّمتِ
يقفُ في القلقِ
يُراقبُ جُدْرانًا مُشَقَّقةً
خوافرَ مُفللةً
فوارسَ مُثخنةً
وهوادجَ بلا زغرودةٍ !

الولدُ الذي لعبَ بالطينِ
حزينٌ حزينٌ
جفتْ بَسمتهُ كالطينِ !

- الغار

غارٌ حُوشنا القديم
مَثله مَثَلُ رَجمِ الأرضِ
دافئٌ في ظلامِهِ
أليفٌ في صخرِهِ
لا وحيَ فيه
إلا... هَمْسُ الأرضِ

في حُوشنا القديم
مائدةُ الشَّايِ كانتُ تجلسُ القُرُفُصاءُ
في الظلِّ .. بيننا
مرَّةً في الصُّباح
مرَّةً في البُكاءِ
حينما

خَرَجْتُ جَدَّتِي فِي بِيَّاضِ الْبِيَّاضِ
إِنْتَظَرْتُ
إِنْتَظَرْتُ
لَمْ تَعُدْ

في حُوشنا القديم
أبي .. مُتَرَبِّعٌ عَلَى حَاصِرِهِ
حَبَّةٌ إِثْرَ حَبَّةٍ ... فِي سُبْحَتِهِ
صَحْرَاءُ فِي صَمْتِهِ
أَسْمُرٌ فِي جُبَّتِهِ
البيضاءِ

أُمِّي
عَرُوسٌ دَائِمًا
مَا أَحَلَى بَسْمَتَهَا فِي سِوَاكِهَا
بَيْنَ الْجَمْرِ وَالْفِنْجَانِ يَدُهَا
لَمَاعَةٌ فَصَّتُّهَا فِي سِوَارِهَا
أُمِّي

فِي حُوشِنَا الْقَدِيمِ
الشَّمْسُ
تَرْتَقِي... تَتَدَحْرَجُ أَمَامِي
ثُمَّ تَغْرَقُ فِي الرَّمْلِ
النُّجُومُ
أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ السُّوقِ
كَمْ مَرَّةً إِشْتَرْتُ عَيْنَايَ
تَصَاوِيرَ بِالْأَلْوَانِ
مِنَ الْأَقْمَارِ
كَمْ مَرَّةً رَكِبْتُ الْهَلَالَ أَرْجُوحَةً
وَوَسَّلْتُ لَهُ يَدِيهِ
فِي إِنَاءِ الْفَخَّارِ !

فِي حُوشِنَا الْقَدِيمِ
الشُّوْكَ وَالْحَصَى
أَقْدَامِي كَانَتْ الْأَرْضُ
عَلَى مَدَى الْبَصْرِ
بِلا حِذَاءٍ .. بِلا حُدُودٍ
وَبِلا جَوَازِ سَفَرٍ

- المَقهى

الذِينَ جَلَسُوا هُنَا
الذِينَ يَجْلِسُونَ هُنَاكَ
زَجَاجُ
رِخَانُ
كَلَامُ

ثُمَّ
مَنْ سَتَبْتُ بِصِمَائِهِ
بَعْدَ مَسْحِ الطَّائِلَةِ ؟

- النَّمْلَةُ

النَّمْلَةُ الَّتِي تَدُبُّ عَلَى مَهَلٍ
عَلَى عَجَلٍ
تَحْتَ الصَّخْرِ وَفِي الْحَرِّ
تَحْلُمُ بِالْحَيْفَةِ وَالْقَمَحِ

النملةُ التي تجُوب المِصْرَ
والقَفْرَ
تَدْخُلُ المِغَارَةَ وَ القَصْرَ

النملةُ الكادحةُ القَالِحَةُ
بِلا عَطَشٍ بِلا ظِلِّ
النملةُ التي تَلْتَصِقُ بِالأَرْضِ
تَتَسَلَّقُ إِلى الثَّمَرِ
تُؤْنِسُ فِي القَبْرِ

النملةُ التي تَمَلَأُ الثَّغْرَ
وَتَشْرَبُ العَيْنَ
تَدُوسُهَا القَدَمُ
بَعْدَ ذلِكَ
تَراها تَمْضِي

- ذُو الجَنَاحَيْنِ

يَجْلِسُ فِي صَمْتِهِ
لا يَرُدُّ التَّحِيَّةَ
لا يُلْقِي السَّلَامَ

يَسِيرُ فِي الشَّوَارِعِ
يَشُقُّ الْأَزْقَةَ وَالرَّحَامَ
يَطْوِي جَنَاحَيْنِ إِلَى جَنْبِيهِ
مُخْفِيًا حَفِيفَهُمَا تَحْتَ ثِيَابِهِ

جَنَاحٌ مِنْ رِيَشِ حَمَامٍ
جَنَاحٌ مِنْ شِرَاعِ سَفِينٍ

مُثَقَّلًا بِالْمَسِيرِ وَالرُّؤْيِ
يَعُودُ مُتَعَبًا مُنْسَرِحًا
لَا يَنَامُ

يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى سَطْحِ عِمَارَةٍ
يُطَلُّ عَلَى الْإِسْمَنْتِ وَالْحَدِيدِ
ثُمَّ يُنْفِئُ مَلَابِسَهُ
يَمَرِّقُ الْأُورَاقَ / يُكَسِّرُ الْأَقْلَامَ
هَمَسَ بَعْضَ الْكَلَامِ
- مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ -

ثُمَّ

يُنْشُرُ جَنَاحِيهِ
عَلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَيَطِيرُ

- خُيول الإفرنج

عندما كان عُمرها سِنينَ عددًا
كانتْ
تَخْرُجُ مع أبيها كلَّ صَباحٍ إلى الأسواقِ
تَدْفَعُ معه العرْبَةَ
وتعودُ...
يَدُها في يَدِهِ مَسْرورَةً فَرِحَةً
مَعَ المَساءِ...
ومَعَ الأيامِ
تَعَلَّمَتْ أن تَهيمَ في الأسواقِ حافيةً
ثُلاحقُ السُّيَّاحِ
كانَ...
أنْ وَجَدَتْ ذاتَ يومٍ قَدَميها
في حِذاءِ
أعطاهُ لها شيخٌ في سَقِيفَةٍ
بعَدَما
لَمْ تُحسِنَ رَبُّطَ الحِذاءِ
في بَارِيءِ الأمرِ
مَعَ الأيامِ
تَعَلَّمَتْ رَبُّطَ الحِذاءِ
مَشَتْ فيه
أَحسَّتْ أنها والدُّنيا في حِذاءِ

مِنْ إِحْرَاقِ الْكُتُبِ
سَوَارِي الْمَسَاجِدِ سَوْدَاءُ
وَحُيُولِ الْإِسْبَانِ تَرْبُضُ فِي صَحْنِ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ
حَمَامٌ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ يَحُومُ حَوْلَ السُّطُوحِ
يَنْتَظِرُ أَذَانَ الْفَجْرِ
لِيَلْتَقِطَ الْقَمَحَ
مِنَ الصَّوْمَعَةِ

عندما كان عُمرها سِنِينَ عَدَدًا
كَانَتْ تُجَالِسُ الْعَاطِلِينَ فِي الْمَقَاهِي
تَعْرُجُ عَنْهُمْ إِلَيْهِمْ فِي دُخَانِ السِّجَائِرِ
تَتَوَزَّعُ عَلَى أَكْفِهِمْ مَعَ أَوْرَاقِ اللَّعِبِ
وَتَسْرُحُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ
عَلَى ثِيَابِهِمِ الزَّرْقَاءِ
وَتَغِيبُ...
تَرَسُّمُ وَجْهَهَا الشَّبَحِيِّ مِنْ عَلَى الْجِسْرِ
فِي الْمَاءِ
- الْأَسْمَاكُ تَسْبِخُ كَمَا تَشَاءُ -

وَتَعُودُ
يَتَفَتَّحُ الثَّقَاخُ عَلَى خَدِّيهَا
أَحْسَتْ بِصَدْرِهَا ثِقَلَ الرُّمَّانِ
وَبَزَّهَرِ اللُّوزِ فِي عَيْنِهَا

حَالِمَةٌ شُرَفَاتِ الْقَصْرِ فِي الصَّيْفِ
يَمْرُوحُ عَلَيْهَا النَّسِيمُ الْبَحْرِيُّ

الجَوَّاري أحسسنَ الليلةَ بالحرِّ
تزلنَ عارياتٍ إلى البحر
يتلاعبنَ تحتَ القمر
والغلامُ الصَّقْلبيُّ يتَمَلَّمُ
تحتَ سيِّدهِ

عندما كان عُمرها سنينَ عددًا
كانت تقفُ مع النَّاسِ في البطحاءِ
العسكرُ يُكرِّمُ رَجُلًا مِنْ رجليه
وعلى صِغَرها
صَبَرَتْ على جَلْدِهِ
تَصَبَّرَتْ إلى أن قَطَعُوا لسانَهُ
يَدَيْهِ - رجليه - رأسَهُ
سَاءَلَتِ النَّاسَ ...
قيل لها ... بالهمس ... في الأذن
عرفتُ من وقتئذٍ حُمرةَ الدِّماءِ

آبارُ النَّفْطِ تَتَشَمَّسُ على الرَّمْلِ
يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا النَّفْطُ
قَوافلُ البَدْوِ تَشُدُّ رِخَالَها إلى الواحِ
سكتَ حادي النِّياقِ
تَمَثَّلُ لَهُ الكُثبانُ سائِحَةً أمريكيةً
إرتجل فيها ألفَ بيتٍ مِنَ الشَّعْرِ
وأنشدها للنِّياقِ

وحدّھا الثِّیاقُ
تعرفُ لظَى الرَّمْلِ

عندما كان عُمرُها سِنینَ عددا
كانت تدخُلُ البحرَ إلى کعبیها
تُسرحُ خَصَلاتِ شَعْرِها في الرِّیحِ
یرقُبُها الصِّیادُونَ العائدُونَ شِباکا
شِباکا مُحمَلَةً بالِحیتانِ
صَفَرَتْ شَعْرَها عُصَيَّ زیتونِ
وراحتُ تَضْرِبُ قَدَمیها في الصَّحراءِ
تَجري مَعَ العُزْلانِ
تَلوُحُ لها بَینَ الكُتبانِ ظلالُ الواحِ
وجداولُ الماءِ
الشَّمسُ
الشَّمسُ تُشرقُ إِذْ تُشرقُ
مِنْ بَینِ سَعَفِ النَّخيلِ

أحذیةُ التَّلَامِیدِ سَلَخَتْها وَعَرَةُ الوِدیانِ
الطَّرِيقُ وَعَرَةُ طَویلَةُ إِلی المَدْرَسَةِ
قَصیرَةُ عَذْبَةُ بِاللَّعبِ
تَرسُمُ الشَّمسُ عَلَی جِباهِهمُ بالسُّمَرَةِ
خِرائطُ الآتِیِ
تَجَمَّعُوا في سُوْقِ القَریَةِ
حَوْلَ سِیارةِ الإِعانَةِ
وساءَلُوا السَّائِقَ عَن مَعنَى

- USA -

مكتوبة على الأكياس
والعُلبِ

عندمَا كَانَ عُمْرَهَا سِنِينَ عِدَدًا
كَانَتْ تَنْقُشُ إِسْمَهَا
عَلَى جَنَائِ الْعِرَائِسِ
وَتَحْمِلُ تَحْتَ مِعْطِفِهَا الْأَلْغَامَ
فِي الْأَسْوَاقِ - فِي زَحَامِهَا - مَعَ النَّاسِ
وَحِينَمَا يَنْهَمِرُ عَلَى كِتْفِهَا اللَّيْلُ
فِي قَلْعَةِ النَّحَاسِ
تَرْنُو إِلَى الْهَلَالِ يَمِيلُ عَلَى الْمِئْذَنَةِ
يَحْنُو عَلَيْهَا
كَمَا يَنْحِنِي عَلَى جَفْنِهَا النَّعَاسُ
فَتَنَامُ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهَا
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
عَلَى أَحْصِرَةِ الْمَسَاجِدِ

مَوْسَمُ الْحَجِّ انْقَضَى كَالْعَادَةِ عَلَى أَحْسَنِ مَا
يُرَامُ
حَسَابَاتُ شَرِكَاتِ الطَّيْرَانِ سَجَّلَتْ
إِرْتِفَاعًا هَذَا الْعَامَ
مَاتَ مِنَ الْحُجَّاجِ أَلْفُ
دَاسُوا عَلَيْهِمْ فِي الرِّحَامِ
- عَادَ الْحُجَّاجُ إِلَى قَوَاعِدِهِمْ -

- سَالِمِينَ -
يُثْقَلُونَ حَقَائِبَهُمْ بِالْبَحُورِ وَاللُّوبَانَ
مُرَدِّدِينَ وَصِيَّةَ حَارِسِ قَبْرِ الرَّسُولِ
فِي الْمَنَامِ

وَحَدَّهُ إِبْلِيسُ يَحْمِلُ
تَبِعَاتِ الذُّنُوبِ
فَيُرْجَمُ فِي كُلِّ عَامٍ
بِالْحِجَارَةِ

عِنْدَمَا كَانَ عُمْرُهَا سَنِينَ عِدَّةً
كَانَتْ تَرْقُصُ فِي الْقِشْلَةِ عَلَى رَوْثِ الْبَهَائِمِ
تَتَنَفَّسُ عَلَى مَصَضِ صِنَانِ الْجُنُودِ
كُلَّ الْغُزَاةِ مَرُّوا مِنْ مَضِيقِ تَهْدِيئِهَا
كَانَ أَنْ رَاخُوا
لَمْ تَكُنْ تَدْرِي أَنَّهُمْ لِيَعُودُوا
وَتَرْقُصُ لَهُمْ عَلَى الزَّرَابِيِّ
فِي فَنَادِقِ السُّيَّاحِ

خَيْولُ الْإِفْرَنْجِ تَهْوَى النَّزْحُلُ
عَلَى الرَّمَالِ
تَرْتَوِي مِنْ آبَارِهَا فِي الصَّيْفِ
تَتَمَرَّعُ عَلَى دِفْيِئِهَا فِي الشِّتَاءِ
وَتَحْجُبُ عَنْهَا الشَّمْسُ بِالْغُرْبَالِ
وَتَنَاوِلُهَا كُلَّ مَوَانِعِ الْحَمْلِ

أهرماثُ الجِيزَةِ يقطرُ منها مع التَّاريخِ
عَرَقُ العبيدِ
سَلَّاسِلُ الأطلِسِ تُوثِقُهَا السَّلَّاسِلُ
البحرُ المُتوسِّطُ يَحْلُمُ عَلَى أبيضِ الزَّبَدِ
البحرُ الأحمرُ يثُوقُ إلى ذَرَوَةِ الحُمرةِ
والخليجُ يَنَامُ على الأملحِ
وجنَّاتُ عَدَنَ
تصيرُ إخضرًا على الصَّحاري
تَسْقِيهَا مِياهُ السُّدودِ

عندمَا يكونُ
عُمُرُهَا سَنِينَ عَدَدًا
تتعلَّمُ المَشْيَ على المَاءِ
تَكْبُرُ قَدَمَاهَا على الحذاءِ
تتسَعُ خُطواتُهَا على الجِسْرِ
تعبُرُ الجِسَرَ مع العابرينَ
عُيونُهَا
عُيونُهُمْ
في الشَّمْسِ

- التفاحة

اللقاء الأول
حَضْرًا مَعًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ
جَلَسْنَا وَتَرَكْنَا بَيْنَهُمَا مَسَاحَةً
سَبَقَ الْكَلَامُ الشِّفَاهَ
كَانَ الْوَقْتُ مَضَى
أَسْرَعَ مِنْ دَقَّاتِ الْقَلْبِ

اللقاء الثاني
حَضْرًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ أَيْضًا
كَانَتْ الْأَصَابِعُ مُبَاحَةً
مَدًّا الْيَدَيْنِ قَرَأَ الْكُفَّينِ
لَقَدْ كَانَا تَوَآمِينَ

حِينَمَا إِفْتَرَقَا فِي السَّاحَةِ
إِلْتَصَقَا
وَصَارَا نِصْفَيْ ثِفَّاحَةٍ

اللقاء الثالث

خَلَعَا خِرْقَ الدُّنْيَا
لِبِسَا أَوْرَاقَ الْجَنَّةِ
كَانَ آدَمَ ... كَانَتْ حَوَاءَ

و أَكَلَا التَّفَّاحَةَ...